# من إعجـــاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

كتب الكاتبون قديماً وحديثاً فى إعجاز القرآن ، ولكن ليس كمثل الأمثلة العملية الواقعية بيان لذلك الإعجاز . ومن أحدث هذه الأمثلة وأغربها ما وقع من الدكتور زكى مبارك أو « الكاتب المجهول كما يسمى نفسه فى العدد ٣٥١ من الرسالة

والدكتور زكى مبارك كبير الإعجاب بنفسه يظن أنه أحاط بالأدب العربى من أطرافه : أطراف النثر وأطراف الشعر ، فلم يدع لكاتب ولا لشاعر شأواً معه . تعرف ذلك فى دعاواه الطويلة المريضة التى ينثرها يميناً وشمالاً بغير حساب فيما يكتب من مقال ، وما يؤلف من كتاب ، كأنما أراد أن يكون المثل المنجسم لقانون التعويض النفسى فى الأدب ، فهو يعوض نفسه عما فاته من ثناء الناس بالمبالغة فى الثناء على نفسه ، وهذا شىء لم يكن يفهم لولا أن إعجاب الدكتور بنفسه انقلب فيه غروراً ، وأن الغرور بلغ منه حداً جعله يتطاول إلى مقام القرآن الكريم ، يشكك فى إعجازه تارة ، ويكاد يصرح أنه من كلام البشر تارة أخرى ، ويدعو إن بتلميح وإن بتصريح إلى تناول القرآن بالنقد ، كأنما يظن أن ذلك فى مقدوره لولا أن المسلمين لم يستعدوا بعد لتلقى كل ما عند الدكتور

وسولت له نفسه أن يكتب مقاله « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » ، ولأمر ما رأى أن يوقعه بغير اسمه

ولكنه نسى نفسه حين أمن أن يعرف فرمى بها عوراء مخزية حين كتب : « أما بعد ، فأنا لا أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، وإنما أعوذ برب الفلق من خير ما خلق ، وهو الجمال » . لعلك لو فتشت عن قلبه حين كتب هذا لوجدته مسروراً به ، يرى أنه جاء بطريف وهذا خذلان الله لكل من يلحد فى آياته : يخفى عنه الغلطة المنكرة لا تخفى على العامى من الناس .

والغلطة المنكرة هى جهله أن كلمة « شر » فى الآية الكريمة اسم لا أفعل تفضيل ، وأن الفرق بين معنى الآية كما فهمها وبين معناها كما أنزلت كالفرق بين الجماد والحى ، والإعجاز وغير الإعجاز

وإذا أدرك زكى مبارك غلطته فحاول أن يتكر أن (شر) فى جملته أفعل تفضيل كذبته كلمة (خير) فى نفس الجملة ، إذ لا شك مطلقاً فى ان (خير) فى جملته تلك أفعل تفضيل جاء فى مقابلة « شر » أفعل التفضيل الآخر فى أول الجملة .

إن كلمة شر إذا كانت اسماً مضافاً إلى ما الموصولة ، كما هى فى الواقع فى قوله تعالى ( من شر ما خلق ) فى السورة الكريمة المعروفة ، شملت كل شر لكل مخلوق ، فالاستعاذة بالله من شر ما خلق على هذا الوجه هى استعاذة تامة كاملة لم تدع موضعاً لاستدراك مستدرك ولا للعب لاعب . فإذا أراد مغرور أن يلعب باللفظ تظرفاً واستطرافاً سقط سقطة الدكتور زكى مبارك . قد يكون الجمال خير ما خلق الله وقد لا يكون ، لكن إذا كان للجمال شر يخشى ويستعاذ بالله منه فقد دخل فى الشر المطلق شر كل مخلوق خلقه الله ، وهو ما أمر الله الإنسان بالاستعاذة منه برب الفلق ، فلا داعى هناك قط إلى تعوذ جديد من الجمال أو من غير الجمال

فانظر الآن إلى ما يطرأ على المعنى من التغيير والتضييق والنقض بجعل (شر) أفعل تفضيل كما فهم صاحب النثر الفنى . لقد انفتح له بذلك من ناحية باب الاستدراك فقال إنه لا يتعوذ من شر ما خلق الله ولكن من خير ما خلق وهو الجمال . ومن ناحية أخرى صارت الاستعاذة على هذا الوجه مقصورة على شر أكثر خلق الله شراً ، وتركت ما عدا ذلك من شر كثير جراً طليقاً يصيب من الإنسان ما شاء . فأى استعاذة هذه التى تترك المتعوذ عرضة لأكثر الشر فى جملته ، أو لشر كثير على أقل